المبحث العاشر:

العقل والإبداع النخبوي والجماعي.

بداية لابد من القول بأنني أؤمن أن المحاولة التي قد تؤدي في بعض الأحيان إلى الفشل، هي خطوة في طريق النجاح، طالما صاحبها يسلك طريق الإبداع الصحيح، لأنها تشكل الخطوة التجريبية الأكبر الأولى " نحو اجتياز العتبة" التي سنتخطاها نحو ولوج بيئة الابتكار والإبداع والاطلاع العلمي الذي يُعمل العقل والتحليل، والذي يبتعد عن التقليد.

إنني أعتقد بأن ذلك يصب في إطار الدعوة التي دعا إليها الدكتور سليم الحسنية، والتي تتمثل في الإبداع الجمعي، لأن أمتنا تملك مقوماته البشرية والمادية والمعنوية والمستقبلية، لنبتعد عن الهامشية والسطحية والتقليد، وللمزيد في الإيضاح نشير إلى البنود التالية:

البند الأول: الحفز العقلي

ويتمثل الحفز العقلي، في عدم تغييب العقل عن الفعل أو الامتناع عن الفعل، لأن طبيعة العقل كما أزعم تشكل حضوراً متوثباً ودائماً ولكنه لا ينشد الفضول والتطفل، لأنه هو العضو النبيل الذي يُعرض عليه ويستعرض الحالات ويقرر مصيرها، لذلك فإن تغييب العقل البشري عن الفعل الإبداعي أو إهماله "لجهل أو إبهار"، سواء كان ذلك في الاطلاع والتحليل والنقل و الإبداع، أو الابتكار وغيرهم بحيث يضع الجميع أمام مسؤوليته الذاتية، وأمام ضميره الذي لا يعطي القدرات البشرية الإبداعية المُعطلة مجالها، وهي التي تنتظر البزوغ وأمام شعبه الذي يتطلع إلى التقدم والتطور والتغيير، في كل مجال من مجالات الحياة، لذلك فإن المحاكمات العقلية والعلمية ضرورة علمية فنحن حين نناقش العوامل المؤثرة في

obeikandl.com

الإبداع، فعلينا ألا نفصل بين العوامل المؤثرة عن بعضها طالما أن العقل هو الذي يوظفها في عملية الإبداع.

البند الثاني: تسليح العقل بالعلم.

إن إدراكنا لدور العقل في الإنسان، يدعونا إلى فهم هذا الدور فهماً علمياً وموضوعياً، لما لذلك من أثر في حياة الفرد والمجتمع، الأمر الذي يستلزم بديهياً وضع العقل في ساحة الضوء الدائمة، بحيث يتم تسليحه بالمعرفة وتطورات العلم المتجددة وفي نتاجات العلماء المبتكرة.

هذا الفهم لدور العقل والعلم في حياة الشعوب وعلمائها، يدعونا أيضا إلى ضرورة الإفادة من تجارب الشعوب والاختيار الأصح من العلوم المتطورة والنظريات الموضوعة، بحيث يتم الأخذ من مدارس العلماء، أخذاً علمياً واعياً عاقلاً يجنبنا "الأخذ المستسلم" من كل علم وقول وفعل، في مختلف مستويات هذا العلم والقول، (هذا الأخذ غير الموضوعي، الذي يبعدنا عن الجوهر الذي نقصد، والذي يضعنا على درب، قد نتوه من خلالها من جديد في غياهب التحليل، من أجل التحليل، ونحن من الذين قد شبعوا حكياً وتحليلاً وصفصفة فارغة وكادوا أن يغرقوا ويختنقوا بها) .

هذا الفهم إن وجد من يؤيده، يجعلنا "لا نصرخ مستغيثين" ، بل يجعلنا نمعن ونقول: بكل هدوء وروية ونحن نعني ما نقول، فلنكف عن (التبعية والنقل بدون إعمال العقل)، ولنطلق اللهاث خلف و داخل الضوضاء المخربة المربكة، ولنعد إلى فكرنا وعقلنا، إلى علمنا وواقعنا، إلى حاجاتنا و طموحاتنا، و إلى العمل لإنجاز أهدافنا.

obeikandl.com

البند الثالث: مستلزمات النهضة.

إن مستلزمات النهضة الإبداعية المطلوبة عديدة وواسعة، وأرى بأن الذي يمكن أن يسهم بجدية في هذه النهضة، ويجعنا نقطع نصف المسافة نحو بلوغ الهدف "الإبداع الجماعي والفردي" الذي دعا إليه الدكتور حسنية يتحقق من خلال :

انطلاقة النهضة الجديدة:

لقد أكد د. حسنية (ضرورة تحقيق ظروف وشروط جديدة لهذه النهضة. "مؤكدا بأن" التقليد سيظل تقليدا، وضده الإبداع والتجديد"). وفي ضوء ذلك لابد من تحقيق مطالب أساسية ذات صلة وطيدة بهذا النهج، وهذه المطالب التي نشير إلى بعضها فيما يلي:

المطلب الأول: الوقفة العلمية المسؤولة.

إن هذا الموقف الفكري النهضوي يستحق أن نقف عنده ونفكر به لنفعله ذاتيا وموضوعيا أفرادا وجماعات، لأن في ذلك كشف عن كبد الحقيقة، من هنا يجعلنا مطالبين بالتوجه نحو إظهار الجوهر أو اكتشافه وصقله والإضافة عليه، حتى لا نغوص في عالم (علم الكلام والسفسطة) لأن هذه النهضة يجب الإعداد لمستلزماتها.

لقد صدق د. حسنية حينما قال: إن عصر الورقيات والكتابة قد انتهى (وهي دعوة إلى ربط القول بالفعل، والفعل بالعمل و ليس الفعل النقدي فحسب، بل الفعل البحثي من سبر وتحليل وإبداع وإنتاج وإنتاجية.

من هذه المستلزمات التي أشرنا إليها سابقاً: منهجية الخطة الموضوعية من حيث - برامجها – أماكن وزمان البدء بتنفيذها -إعداد أطرها البشرية (المُعد والمُعد) الذي سيقودها والذي سيخضع لها، ووضع المقاييس والعلامات التي تشكل دلالات دالة لأجيالنا وبخاصة المبدعين منهم.

لهذا أقتضى منا ما تم عرضه فيما تقدم حول ضرورة وضع منهجية تتناول المكان والزمان والإنسان، وتتناول المُعد والمُعَدْ وتتناول السمات والمقاييس، والعلامات التي تشكل دلالاتنا ومؤشرات دالة لأبنائنا وبناتنا من مبدعين ومبدعات، هذه الأطر التي لا يكفي أن نكتشفها ونُظهرها وحسب، بل أن نكشف الأهم والأسمى القادر على أن يستمر ويوظف كإبداع يمكن وضعه في خدمة المجتمع، بما يجعل الإبداع حالة حضارية ولادة نوعياً وكمياً، صعوداً وتجديداً.

المطلب الثاني: تنمية المبدع واستثمار الإبداع.

من البديهي ألا يكون الهدف فقط هو الكشف عن المبدعين وإظهارهم بل الأهم، هو الاستمرار في الكشف عنهم وإظهارهم وتوظيف إبداعهم في خدمة المجتمع، كما أن جعل الإبداع حالة حضارية مسألة غاية في الأهمية الوطنية والإنسانية، يجب أن تتسم هذه الحالة الحضارية بالكم النوعي الملبي للحاجات الضرورية، كما أن جعل هذه الحالة الإبداعية حالة مستمرة وفي وضع تصاعدي أكثر نضوجاً وزخماً يشكل رسالة علمية يجب تحقيقها.

المطلب الثالث: الديمومة المنتجة.

ا -إن من مستلزمات هذه النهضة البشرية العلمية والإبداعية الجديدة تستلزم بالضرورة أن نبقى نتساءل عن كل جديد لأننا لا نريدها النهضة موسمية، بل علينا أن نبقيها دائمة لذلك يبقى التساؤل عن الجديد من مستلزمات هذه النهضة العلمية الخلاقة التي ننشد، لأن هذه النهضة نراها حالة حياتية إنسانية متجددة إن أردنا أن نعيشها بكل أبعادها وأن نضع في سبيل ذلك كل ما أمكننا ذلك لتحقيق ذاك الذي نحسه ونلمسه ونعيشه وذاك الذي نتخيله ونحلم به ونتمناه، ونتصوره في خيالنا وفي كل حدب وصوب أمامنا و يحيطنا.

ب -يجب أن نصوب كل ماله علاقة بمساراتنا، وأن نصوب ((نخصب)) أقوالنا وأفعالنا، وأن نفعل ونجمل أداءنا في كل حركة وسكنة نأتيها، ففي ذلك محاولة

لقلب صفحة، وللوقوف عند فكرة لتفسيرها تفسيراً دقيقاً قد يفضي إلى ومضة إبداعية، يقودنا إليها عقل مسلح بالمعرفة، عقل إن سألته أجاب وإن ناديته استجاب وفق قدرتك المؤثرة الموقظة لقدراته التي تنتظر فرسانها.

ج -ولكي ينعم هذا العقل بطموحه، يجب علينا البحث والتمحيص للوصول إلى إيجاد و وضع الأجوبة التي "تشبع وتقنع" بعض ما ننشده، وسيبقى ذلك هو الذي يفرض التساؤلات التي يحمل أجوبتها الطموح المنشود، وقد يقول قائل: هل نبقى نكتب لكي نُوصَف بأننا كتَّاب؟؟ قد نجيب بنعم، علينا أن نبقى نكتب لكي يقولون عنا كتاباً، ولكن علينا أن نكتب مبدعين ومحللين، علينا أن نختار مراجعنا ومناهلنا مختارين، وليس مبهورين.

إذاً ماذا سنختار؟ أنختار كتابة البحث والكشف والإبداع؟؟ أم كتابة السير والأوجاع، ورغم أن أي كتابة هي بحد ذاتها تنتمي إلى حقل الإبداع و منتميه، ولكننا نحن ننشد ان نكون كتابا مجددين مبدعين مبتكرين.

المطلب الرابع: خصائص الشخصية العلمية المبدعة؟

قد يقول قائل: هل نبقى نكتب على هامش الكتَّابات والكتاب ؟

وهل نبقى ننضح من ضروع غير ضروعنا ؟

أم نبقى أسرى لقراءات أو نظريات متعددة ومتنوعة؟

في ضوء ما تقدم نؤكد بأنه ، رغم فائدة الكتابة والكتاب، وأهمية ما تحتويه أضرعة النظيرات المختلفة، إلا أن الانبهار والاستسلام لأفكارها، والبقاء بالاتكال عليها، رغم أنها ليست وليدة عقولنا وواقعنا، مسألة يجب وقفها و خلق البديل الأعمق والأبعد والأوسع منها .

هذا الطرح لا يعني الانغلاق والتقوقع، بل يعني البحث عن الذات المبدعة، يعني البحث عن الأبعد والأكثر فائدة، الذي يعالج واقعناً ويلبي حاجاتنا والذي يستلهم من تلك النظريات التي ننفتح عليها، لتكون عطاءاتنا أكثر جدوى لنا ولغيرنا.

إننا حينما نؤكد ذلك، فنحن من الشعوب التي قُدرت عطاءاتها، وقدرت عطاءات الآخرين، نقول هذا القول ونحن نؤمن بأن شعبنا وعلماءنا يجلون ويحترمون واضعي تلك النظريات ومبتكري تلك الأفكار لأهميتها وغناها!!!!؟

ولكن هل نبقى تاركين جادة الصواب، ونحن ننظر إلى واقعنا وهو يتردى؟ وإلى أفكارنا وهي تتوارى؟ وهل نبقى نلهث خلف أفكار الآخرين؟

هذه الحالة المراوحة، بل العدمية يجب الثورة عليها وعلى منتجاتها ومفرزاتها، لأنها تمثل انغلاقاً قاتلاً وقبولاً مستسلماً وهو ينظر إلى شخصيته السيادية وإلى الشخصية الفكرية والوطنية والقومية تسبل أمام ناظريه، إنها الحقيقة المرة فيما لو استمرت هذه الحالة الفكرية والإنتاجية اللاهثة وراء غيرها و المتكئة على أفكار لا تمت لتطلعاتها بصلة؟

وبصورة أوضح نتساءل هل نرغب أن نبقيها، كلمة أو فكرة مأمورة مغمورة منسية؟ تدار كيف يرغب آمرها ومسيرها، أن تبقى أو يبقيها مما يجعلها غريبة عن قرائها وعن أفكار الشعب الذي يجب أن تنشد مصالحه العليا في الحاضر والمستقبل، هذا القارئ الذي قد يُعجب بها ويفهمها، ولكنه لا يحسها (معبرة عن طموحاته وملبية لمتطلبات واقعه الذي يستلزم التغيير والتطوير والنهوض، كما لا يعتبرها على الأمد القريب والبعيد ملبية لأي مطلب أو معينا له في خلق بيئة الإبداع أو خلق مبدعين أو تحقيق هدف؟؟

إن مواطننا يطلب ويلح على ضرورة التحدث بلسان حاله بالبحث عن حاجات حاضره ومستقبله متسائلاً: متى نتحدث عن واقعنا من خلال السبر والتحليل الذي يضيء الدروب التي نسلك ؟؟ أم أن نبقي أسرى السطحية، ونكتب لإرضاء الخاصة منا؟ وبالتالي نبقى نهتف بلا هدف وأفاق؟؟

المطلب الخامس : نصف المجتمع.

وفي مجال متصل نسأل، هل من الحكمة والتقدم والديمقراطية أن يبقي نصف مجتمعنا "المرأة" مجمداً ومحيداً؟ يعيشنا ونعيشه وهو يبذل جهداً ويناضل فينا ويكافح لإثبات وجوده؟؟ وهل من الحكمة أن نبقيها حيادية و محيدة، تحكمها تقاليد وأفكار تفسر تفسيراً مغلوطاً.

هذه الحال التي تجعلنا نبحث عن الثغرات التي قد تعتري دور أمنا وأختنا وابنتنا، أي نصف المجتمع، تلك الثغرات التي تسهم في تغييب دورها و مضاعفة ضعفها، مما يزيد المسافات والبعد بينها وبين ميادين الفعل الإبداعي والعلمي في المجتمع، تاركين أنفسنا نفتخر بـ(ماري كوري - وهيلين كيلر التي اعتبرها الأديب مارك توين بأنها ونابليون أعظم شخصيتين في القرن ال19..الخ)

ونقصد هنا إن التجاهل النفسي والقانوني والتشريعي والميداني في كثير من الأحيان للمرأة، هو في الحقيقة تجاهل للحاضن الحقيقي الآمن لعقل المجتمع، الذي لازال أيضاً في حال لا يحسد عليه، من حيث الإهمال والتغييب لأسباب منهجية علمية وتربوية وفكرية، وفقدان الهيكلة الصحيحة بخلق حلقاتها المنطقية التي تبدأ من الأسرة الحلقة الاساس في المجتمع والمعنية بالرعاية الفكرية والعقلية لإنساننا ؟؟

المطلب السادس : التشريع والقانون

إن الطموح الإبداعي لا يحده حد، لذلك يجب أن يصيب كل مجال من مجالات الحياة وبخاصة ما يتصل بالجانب التشريعي أو القانوني، لما لذلك من أهمية قصوى في تحديد الحقوق والواجبات للفرد والمجتمع وللشخصيات الطبيعية والاعتبارية، وخاصة التي لها صلة بقيادة المجتمع والتي تتطلب حركة تشريعية تواكب النهج العلمي التجريبي المتصل ببناء المجتمع والإنسان، بحيث يتم من خلا ل هذا التشريع:

توصيف العطاء العلمي للإنسان، كونه المدير والمدبَر والراعي والمبدع، كما يوصَّف الحقوق والواجبات للمبدعين والإبداع في المجتمع، بحيث تتم النهضة بآلية متساوقة وسلسة، ووفق منهجية مدروسة من الناحية الحقوقية، وهذه الحركة

obeikandi.com

التشريعية هي بحد ذاتها حركة إبداعية في مجالها، كما إنها تسهم في تكوين وتصفية وتنقية مناخ البيئة التي يحتاجها ويستلزمها المناخ الإبداعي، لأن التشريع الذي ينظم الحالات الإبداعية والابتكارية، يجب أن يكون مميزاً وبسمات موصوفة.

obeikandl.com